

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة البقرة

١٤٠٧/٥/٩ هـ

الشيخ/ ناصر بن محمد الأحمد

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله..

أما بعد: عباد الله: إن الله - عز وجل - عندما يعرض علينا القصص في القرآن، لا يذكرها لمجرد التسلي بها، ولا يذكرها لمجرد التمتع بأحداثها التاريخية.

إن القصص في القرآن يا عباد الله إنما تعرض علينا من أجل أخذ العبرة منها. والاستفادة من أحداثها في واقعنا المعاصر. واستخلاص الدروس منها لكي تكون لنا نبراساً في الحياة.

عباد الله: سنمضي هذه الدقائق مع قصة البقرة التي جاء ذكرها في سورة البقرة وسنتعرف على أحداث القصة وما ذكر علماء التفسير في شأنها. ثم..

يقول الله - عز وجل - بعد أعود بالله من الشيطان الرجيم: **{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْتُهَا تُسَرُّ النَّاطِرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْنَا بِالْحَقِّ فذبحوها وما كادوا يفعلون * وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** [٦٧-٧٤] سورة البقرة.

خلاصة القصة يا عباد الله، أنه كان رجلاً من بني إسرائيل عقيماً لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان له ابن أخ وهو وارثه الوحيد. وكان هذا الرجل له بنت، فأراد ابن أخيه أن يتزوج من ابنة عمه فأبى أن يزوجه، فغضب الفتى وقال: والله لأقتلن عمي، ولأخذن ماله، ولأنكحن ابنته، ولأكلن دينه، فقتله في تلك الليلة، ثم حمل جثته ووضعها على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم، حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض، فقال ذوو الرأي منهم والنهي: علام يقتل بعضكم بعضاً وهذا رسول الله فيكم، فرفعت القضية بعد ذلك إلى نبي الله موسى - عليه السلام - فقال لهم نبيهم: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً}** [٦٧ سورة البقرة].

وكان هذا القول بهذه الصيغة يكفي للاستجابة والتنفيذ وهو إنما يأمرهم بأمر الله - عز وجل - فماذا كان الجواب، لقد كان جوابهم سفاهة وسوء أدب، واتهاماً لنبيهم الكريم بأنه يهزأ بهم ويسخر منهم **{قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُؤًا}** [سورة البقرة].

وكان رد موسى - عليه السلام - أن يستعذ بالله، وأن يردهم برفق، وأن يبين لهم أن ما ظنوه به لا يليق إلا بجاهل: **{قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}** [سورة البقرة]. وكان في هذا التوجيه كفاية لهم ليتوبوا إلى أنفسهم، وينفذوا أمر نبيهم، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم، فإذا هم يسألون: **{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ}** [سورة البقرة]. والسؤال بهذه الصيغة يوحي بأنهم ما يزالون في شكهم أن يكون موسى هازئاً فيما أمرهم به فهم أولاً يقولون **{ادْعُ لَنَا رَبَّكَ}** وكأنما هو ربه وحده، لا ربهم كذلك، وكأن المسألة لا تعنيهم هم، إنما تعني موسى وربه وهم كذلك يطلبون منه أن يدعو ربه ليبين لهم.

{مَا هِيَ} والسؤال عن الماهية في هذا المقام، ولكن موسى عليه السلام يسلك طريقاً غير طريق السؤال، إنما يجيبهم كما ينبغي أن يجيب المعلم المربي **{لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ}** إنها بقرة لا هي عجوز ولا هي شابة، وسط بين ذلك، ثم يعقب على هذا البيان المجمل بنصيحة أمره حازمة **{فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ}** ولقد كان في هذا كفاية لمن يريد الكفاية، وكان حسبهم وقد ردهم نبيهم إلى الجادة مرتين، أن يعمدوا إلى أية بقرة متوسطة السن فيخلصوا بها ذمتهم، وينفذوا بذبحها أمر ربه، ولكن بنو إسرائيل تعودوا التعنت والتضييق على أنفسهم، ولقد راحوا يسألون **{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا}** هكذا مرة أخرى **{ادْعُ لَنَا رَبَّكَ}** وقد شققوا الموضوع وطلبوا التفصيل فأتاهم الجواب: **{قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لُونُهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ}** وهكذا ضيقوا على أنفسهم دائرة الاختيار وكانوا في سعة من الأمر، فأصبحوا مكلفين أن يبحثوا لا عن بقرة متوسطة السن بل لا بد أن تكون مع ذلك صفراء فاقع لونها **{تَسْرُ النَّاطِرِينَ}** ولقد كان فيما تلكؤوا كفاية ولكنهم يحرصون في طريقهم، يعقدون الأمور، ويشددون على أنفسهم، فيشدد الله عليهم.

لقد عادوا مرة أخرى يسألون عن الماهية: **{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ}** ويعتذرون عن هذا السؤال وعن ذلك التلكؤ بأن الأمر مشكل: **{إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا}** وكأنما استشعروا لجاجتهم هذه المرة. فهم يقولون: **{وَأِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ}**.

يقول - عليه الصلاة والسلام - فيما رواه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: **{(لولا أن بنى إسرائيل قالوا وإنا إن شاء الله لمهتدون لما أعطوا ولكن استنثوا)}**.

يقول الله - عز وجل - بعد ذلك تنمة للقصة **{قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا}** فقد تضاعفت عليهم الشروط، وضاق مجال الاختيار، فمع الشروط السابقة لا بد أن تكون هذه البقرة ليست مذلة بالحرارة ولا معدة للسقي، بل هي مكرمة مسلمة صحيحة لا عيب فيها **{قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ}** سبحان الله وكأن كل ما مضى ليس حقاً، أو كأنهم لم يستيقنوا أن ما جاءهم به هو الحق إلا للحظة: **{فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ}** لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها لغلاء ثمنها؛ لأنهم وجدوها عند رجل لم يبيعها لهم إلا بملء جلدتها ذهباً.

ثم يعقب الله - عز وجل - بعد ذلك بقوله: **{رَوِّدُ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** [سورة البقرة] (٧٢-٧٣) وهنا نصل إلى الجانب الثاني من جوانب القصة. جانب دلالتها على قدرة الخالق، وحقيقة البعث، وطبيعة الموت والحياة لقد كشف الله لقوم موسى عن الحكمة من ذبح البقرة، لقد كانوا قد قتلوا نفساً منهم، ثم جعل كل فريق يدرأ عن نفسه التهمة ويلحقها بسواه، ولم يكن هناك شاهد، فأراد الله أن يظهر الحق على لسان القاتل ذاته، وكان ذبح البقرة وسيلة إلى إحيائه، وذلك بأن أمر الله - عز وجل - أن يؤخذ بعض من تلك البقرة ويضرب بها جثة الميت، فبعث فيه الحياة مرة أخرى بقدرة الله - عز وجل - ليخبر بنفسه عن قاتله. لقد قام المقتول أمام الناس بعدما أحياه الله - عز وجل - مرة أخرى لكي يرى بني إسرائيل بعض معجزاته. فقام المقتول أمام الناس وقال: "إن الذي قتلني هو هذا الرجل وأشار على قاتله" **{كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}**. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والمواعظ والذكر الحكيم. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله...

أما بعد: عباد الله عرضنا لكم فيما مضى وبصورة مختصرة ما ورد من قصة البقرة في كتاب الله - عز وجل - ولكن مع أن هذه القصة وقعت لبني إسرائيل مع نبيهم موسى - عليه السلام - فما الذي يمكن أن نستفيد نحن من هذه القصة. وكما ذكرت لكم من قبل، أن القصص في القرآن لا يرد لمجرد التسلي بأحداثها، ولكنها ترد لتكون عبرة لمن بعدهم.

ففي قصة البقرة يتضح لنا سوء الأدب من بني إسرائيل مع نبي الله موسى - عليه السلام - وتتضح هذه الصورة جلية واضحة في قول الله تعالى على لسانهم: **{ادْعُ لَنَا رَبَّكَ}** وكان الله - عز وجل - رب لموسى وحده وليس رب لهم. أي سفاهة هذا؟ وأية لا مبالاة بأنبياء الله - عز وجل -؟ ولكن ماذا كان مصير بني إسرائيل في النهاية؟ وماذا كان حالهم بعد أفعالهم وأعمالهم مع أنبيائهم؟ **{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفْتَأُوا}** [سورة آل عمران].

فالذي يجب على هذه الأمة أن لا تتخلق بأخلاق بني إسرائيل في تعاملها مع نبيها - صلى الله عليه وسلم - والذي يجب علينا أن لا نسيء الأدب مع رسولنا - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم -؛ لئلا يصيبنا ما أصاب بني إسرائيل.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، هو كيف يكون إساءة الأدب مع الرسول - صلى الله عليه وسلم -؟

إن إساءة الأدب مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - يكون بعدم اتباع أمره ونهيه، وعدم الاتباع والامتثال لسنته - صلى الله عليه وسلم -.

فاتقوا الله أيها المسلمون: كم من سنة للرسول - صلى الله عليه وسلم - يضرب بها عرض الحائط في واقعنا؟!

كم من سنة للرسول -صلى الله عليه وسلم- تذبح ليلاً ونهاراً من دون ميالة؟ كم من الأوامر التي أمرنا بها نبينا -صلى الله عليه وسلم- خالفناه وكأن المأمور به غيرنا؟ أمرنا رسولنا -صلى الله عليه وسلم- بلزوم الجمع والجماعات، فلا تكاد نرى إلا كبار السن في المساجد.

نهانا رسولنا -صلى الله عليه وسلم- عن اختلاط الرجال بالنساء من غير المحارم، والحال يزداد سوءاً يوماً بعد يوم كما لا يخفى عليكم.

أمرنا رسولنا -صلى الله عليه وسلم- أن نكف أسماعنا وأبصارنا عن الحرام، فلا تكاد ترى من يطبق هذا الأمر إلا من رحم ربي. فاتقوا الله أيها المسلمون، لا تسيئوا الأدب مع رسولكم بمخالفة أمره ونهيه كما أساء بنو إسرائيل قبلكم الأدب مع رسولهم بمخالفة أمره ونهيه فيحل بكم ما حل بغيركم. ليس بينكم وبين الله نسب. وسنة الله ماضية إلى يوم القيامة، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وأمر آخر نحب أن نقف عليه وهو: أن بنو إسرائيل عندما رفعت القضية لموسى -عليه السلام- وهي قضية الرجل المقتول، أمرهم موسى بذبح البقرة وبنو إسرائيل تعجبوا كل العجب من هذا الأمر، نقول له أن فلاناً قد قتل، ونريدك أن تخرج لنا القاتل، ويقول اذبحوا بقرة. قد يكون الأمر غريباً وفيه شيء من العجب في بداية الأمر ولكن عندما تتضح القضية وهو أن هذا الأمر جاء من عند الله يزول الإشكال وتذهب الغرابة **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً}** ولم أمركم أنا. فكم من الأحكام والشرائع التي شرعها لنا الله -عز وجل- في حياتنا؟! وكم من السنن التي سنها لنا رسولنا -صلى الله عليه وسلم- في تعاملنا؟ لا يطبقها الناس ولم يعملوا بها؛ لأنهم يشعرون بأنها أمر غريب، أو هذا شيء عجيب.

أيها المسلمون: إن هذا الدين لا يؤخذ بالعقل، وإنما يؤخذ بالإتباع، فكل ما ثبت عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا بد من أخذه، ولا بد من العمل به، سواء كان هذا الأمر غريباً علينا، أو لم تقبله عقولنا، ألم يتعجب بنو إسرائيل عندما أمروا بذبح بقرة لمعرفة القاتل، ولكنهم لم يستطيعوا معرفته إلا بعد أن نفذوا أمر الله -عز وجل- ونحن لا تكون لنا السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة إلا بأخذ هذا الدين بكامله، سواء تعجبنا من بعض الأوامر والنواهي فيه، أم لم تقبل عقولنا بعض أحكامه. ولنأخذ مثلاً على ذلك، ولنضرب هذا المثال في الصلاة. فكم من الناس يعجب ولا يتصور أن صلاة الجماعة واجبة في حق الرجال، وأنه قد ارتكب إثماً عظيماً يستحق عليه أشد العقوبة إن هو استمر يصلي مثل النساء في البيت.

وكم من الناس يعجب ولا يكاد عقله يتحمل أن تارك الصلاة كافر، كفراً أكبر يخرج صاحبه من الملة، وأنه تطبق عليه أحكام المرتدين. وكم من الناس يعجب أن وضع اليدين مثلاً على الصدر في الصلاة هي السنة الثابتة الصحيحة عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-. وأن عدم الأخذ به يكون مخالفة للسنة. هذا مثال واحد على الصلاة، وإذا أردت أن تتبع تعجبات الناس في أمور العبادات الأخرى وفي أمور المعاملات والتي لا تقبلها عقولهم فلا تكاد تنتهي.

فنسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن....